﴿سورة العصر﴾

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: ما دلالة القسم بالعصر ولم أقسم الله تعالى به فى هذه السورة ؟

والجواب: إن الله ﷻ أقسم بالعصر وهو خلق من مخلوقاته، وللخالق ﷻ أن يقسم بما يريد من خلقه فخلقه ﷻ من دلائل قدرته، والعظيم لا يقسم إلا بالعظيم، وهنا أقسم الله ﷻ بالعصر والمراد من العصر الزمن والدهر، والسؤال: ولم أقسم الله ﷻ به فى هذه السورة على وجه الخصوص ؟

وتكمن الإجابة فى ملمح مهم، وهو أن الله ﷻ تحدث بعد ما أقسم بالعصر على أن الإنسان فى خسارة وأعظم الخسارة ضياع رأس المال، فما رأس المال الحقيقى للإنسان الذى لا يمكن تعويضه فى حال خسارته ؟ إنه العمر المكون من سنين فشهور فأيام فساعات فثوانى، أى العصر والزمن، ولذا أقسم ربنا بالعصر على خسارة الإنسان لأعظم ما يملكه ولا يحسن استغلاله وهو عمره الدنيوى الذى يتوقف عليه ربحه الحقيقى أو خسارته الحقيقى فى وقت الحساب الأخروى حيث النعيم الأبدى أو العذاب السرمدى .

أو أن يكون القسم بالعصر هنا بمعنى وقت صلاة العصر المعروفة وهى الصلاة الوسطى التى حثنا ربنا على المحافظة عليها، فى قوله ﷻ: ﴿**حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلوُسطَىٰ**﴾ [١]، قال الزمخشرى: (أقسم بصلاة العصر لفضلها، ولأنّ التكليف في أدائها أشقّ لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار، واشتغالهم بمعايشهم) [٢] .

---

(١) سورة البقرة / من الآية ٢٣٨ .
(٢) الكشاف ٤/٨٠٠ .

المسألة الثانية: لم ذكرت السورة التواصى بالحق والصبر؟ وما السر فى تقديم الحق على الصبر ؟

الجواب: إن فتنة الإنسان فى دينه وانحرافه عن الطريق المستقيم إنما يكون بتعرضه لمرض الشبهات أو مرض الشهوات، فالشبهات تَعرِض لحقائق الدين والشبهات تَعرِض لأخلاقه، وأنجع دواء لهذين المرضين أن تُعالَج الشبهات باتباع الحق، وأن تُعالَج الشهوات بالتخلق بالصبر، ولا أنفع للمرء فى دينه ودنياه من التزام الحق والتخلق بالصبر فبهما حياة القلب وسعادة الروح .

وقد تقدم ذكر الحق على الصبر فى السورة الكريمة لأن ملازمة الحق أمر شاق على النفوس – إلا من رحم الله – فاستلزم ذلك أن يُذكر الصبر من بعده، حتى يستمسك الإنسان بالحق مهما عرضت له الفتن، ومن هذا الباب وجدنا أن لقمان الحكيم لما وعظ ابنه وحثه على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر علم – بما أعطاه الله من حكمة – أن دعوة الحق صعبة، وطريق الحق محفوف بالمشاق، فذكر بعدها مباشرة وصية ولده بالصبر على ما أصابه ، فقال فيما حكى الله عنه:﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**﴾ [1] ... والله أعلم

---

(١) سورة لقمان / من الآية ١٧ .